الحياة في رأي اديصن

وهو رأي جديد فيها

اديصن العالم الطبيعي الاميركي والمخترع الكهربائي المشهور الذي تتمتع كل يوم بثمرة مخترعاته اخصها مصباح النور الكهربائي لهُ رأي غريب في الحياة يقول انهُ وصل اليهِ بعد البحث وإعمال النظر سنين كثيرة . حادثهُ احد الكتّاب في هذا الموضوع ونشر خلاصة حديثهِ في مجلة هرست الدولية الاميركية . قال ما خلاصتهُ

ان ما حيّر عُمَر الخيام حيّر اديصن ايضاً . ما هو الانسان أهو الجسم الذي يصوَّر بالفوتوغراف ام هو شيء آخر في هذا الجسم . وما هي الحياة . أهي ما يمكّن الجسم من ان يرى ويشم ويسمع ويذوق ويتنفس ويتكلم ام هي شيء آخر غير ذلك . أهي انفعال كيماوي فقط كما يقول البعض ام هي شيء آخر وما هو ذلك الشيء

ومهما تكن حقيقتها فمن اين اتت . فقد كانت الارض في اول عهدها سحابة تدور في الفضاء ثم صارت جسماً جامداً حامياً يكتنفهُ البخار ثم ظهرت الاحياء عليها فمن اين جاءت حياتهم

بلغ اديصن السابعة والسبعين من عمرهِ وقد كان يفكّر في هذا الموضوع منذ كان ولداً ولا يزال يفكر . وقد حادثتهُ فيهِ قبيل كتابة هذه السطور وها خلاصة ما فهمتهُ منهُ

سألتهُ هل يعتقد بخلود شخصية الانسان . فقال كلاَّ فان الشخصية تزول حالما يموت الجسد . وسألتهُ هل يعتقد ان للانسان نفساً . فقال ان عقلي لا يدرك ما هي النفس . وقد اكون مخطئاً ويكون للانسان نفس اما انا فلا استطيع ان اتصور ذلك لان ماهية النفس فوق ما يدركهُ عقلي ولكن يجب ان لا يُفهم من قولي هذا اني انفي وجود النفس فاني لا انفي ولا اثبت . وغاية ما في الامر انني لم اجد حتى الآن دليلاً يقنعني بوجود النفس ولا دليلاً يثبت لي عدم وجودها

وهو يعتقد ان الحياة شيء لا يفنى وانها نوع من القوة وهذا النوع من القوة يفعل بالدقائق التي يتألف منها جسم الانسان فيجعلها حية نامية مفكرة . ويفعل ايضاً بالدقائق التي يتكون منها القمح فيجعلهُ ينمو ويصنع اوراقاً وسنابل وحبوباً اي يحيي هذه وتلك وحينما يموت الانسان ويبيس القمح تذهب هذه القوة الحيوية الى

المصدر الذي اتت منهُ وتبقى هناك الى ان تعود الى دقائق اخرى فتكون منها انسان آخر او نبات آخر . وهذا نص ما قالهُ لي

« اني اعتقد ان القوة التي نسميها حياة ، تستطيع ان تقطع المسافات الشاسعة بسرعة الكهربائية وتستطيع ان تحيي ما على الارض ثم تعود الى مصدرها في الكون وهو اما سيّار آخر او جهة اخرى لا نعلمها فان الارض كانت في سالف عهدها غير صالحة لوجود الاحياء فيها حيثما كانت مصهورة من شدة الحر . ثم بردت وظهرت الاحياء فيها فتولدت حياتها في الارض او اتتها من مكان آخر . وعندي انها اتت من مكان آخر كما تأتي الكهربائية من الشمس . ولا اعني بذلك انها اتت كما تأتي الكهربائية تماماً لاني لا اعلم كيف اتت »

وعندهُ ان البيض والبزر لا يكونان حيين اي لا يتضمنان مبدأ الحياة ولكنهما يكونان معدّين للنمو اذا دخلتهما الحياة . فقد قال « ان البيضة والبزرة مثل انموذج معدّ لكي القوة التي نسميها حياة فاذا ثبت هذا الانموذج وردة فهو معدٌّ ليصير وردة اذا دخلتهُ الحياة » ومفاد كلامهِ ان الحياة شيء واحد دائماً اي انها قوة محيية فتحيي كل شيء حسب ما هو معدٌّ لهُ فاذا دخلت بزرة قطن انمتها وصيرتها شجرة قطن واذا دخلت البيضة التي يتولد منها الانسان انمتها وصيرتها انساناً . فقومات الجنس والنوع تكون كلها في البزرة والبيضة بالقوة ولكنها لا تظهر بالفعل ما لم تدخلها الحياة . ويتضح ذلك من ان الخلايا الاولى التي تتكون منها اجسام كل الموجودات الحية متشابهة وان كان بين انواعها اختلاف فهو طفيف جداً وان الفرق قليل جداً بين الخلايا الاولى التي يتكون منها جسم الانسان

وعندهُ ان الارض سيّار يأتيهِ من مكان في الفضاء مقدارٌ محدود من القوة الحيوية وهذه القوة تدخل البيوض والبزور فتحييها وتجعلها تنمو كل واحد منها حسب نوعهِ وحسب ما وصلت اليهِ من الارتقاء بناموس النشوء ولكن هذه القوة محدودة لا تكفي لانماء كل ما تبزرهُ النباتات من البزر وكل ما تبيضهُ الحيوانات من البيض . وخلايا البزور والبيوض التي تنمو تعرف ماهو خاص بكل منها من العمل فتقوم بهِ

ولما كان يكلمني في هذا الموضوع ويشرحهُ لي رفع يدهُ واراني اصبعهُ وقال كنت بالامس راكباً مع فورد فاطبق واحدة باب الاتوموبيل على اصبعي فهرسها ووقع ظفرها وانا لا اعرف كيف انمى ظفراً آخر بدلاً منهُ ولكن خلايا اصبعي تعرف ذلك وقد شرعت تنمي ظفراً بدل الظفر الذي وقع كما ترى . وهذه الخلايا صغيرة الى

الدرجة القصوى ولكن كل خلية منها تحوي مائة مليون من الذرات الدقيقة فهي شعب كبير العدد منتظم العمل . والخلايا مقسومة الى طوائف حسب الوظائف المختلفة الخاصة بكل طائفة منها . وكل طائفة تعرف حدودها ووظائفها وبعضها اعقل من بعض كما هي الحال في طوائف الناس . بعضها يشير وبعضها يدبر وبعضها يعمل . ففي جسم الانسان كثير من المعامل والمصانع واكثرها يعمل ما يتعذر على الانسان عمله . وعندي ان ذرات العقول في الخلايا خالدات وهي سبب ما نسميه وراثة طبيعية . وكلها تكوّن الانموذج الذي يُحفظ به النوع اي البياض والبزور فتأتيه الحياة وتضم اعضاء كل طائفة من طوائفه بعضها الى بعض لتعمل معاً ما هي معدّة له من العمل . فما دام كل شيء جارياً مجراهُ الطبيعي بقيت على تضامها عاملة بالاتحاد واذا اختل نظامها لسبب من الاسباب رغبت في الانفصال ومتى حدث هذا الانفصال عمّ الجسم الذي هي فيه الحياة

ثم ضرب لي مثلاً على ذلك في تاريخ السنوات العشر الاخيرة من حياة ابيه قال «لما صار عمر ابي خمساً وثمانين سنة قام في ذهنه انهُ يجب ان يسيح في اوربا فاعطيتهُ الفي ريال وذهب مع رفيق لهُ عائلهُ سنًّا فزارا اسكتلندا اولاً وطافا فيها ماشيين فاقتصدا كثيراً من اجور السكة الحديد ثم ذهبا الى هولندا وطافا فيها ايضاً وانتقلا منها الى فرنسا ومشيا فيها كثيراً ولما شبعا من المشي رجعا الى اميركا وارجع ابي ٧٠٠ ريال من النقود التي اخذها وقال انهُ سُرَّ كثيراً بهذه السياحة . ومرّت ثماني سنوات وهو على تمام الصحة ولكن لما بلغ الثالثة والتسعين سئم الحياة على ما يظهر وقال لي انهُ صار يود ان يموت فضحكتُ وقلتُ لهُ انك لا تزال على تمام الصحة لكنهُ اكّد لي ذلك قائلاً انهُ رأى كل ما يريد رؤيتهُ وعمل كل ما يريد عملهُ ولم تبقَ فائدة من بقائهِ حيًّا

وذات يوم قال لي انهُ ذاهب الى بيت اختي ليموت فيهِ فحاولت تشديد همتهِ وصرفهُ عن ذلك ولكنني لم استطع فذهب الى بيت اختي ومات فيهِ بعد ثلاثة ايام انتهى

ومن رأي اديصن ان اباهُ سئم الحياة لان دقائق جسمهِ رأت انها تجاوزت الحد الذي تعمل فيهِ مسرورة . ولم نرَ لعالم طبيعي آخر رأياً صريحاً مثل هذا في ماهية الحياة . ولا نظن ان سرها يكشف بالبحث والامتحان الاّ اذا تقدمت معارف الناس حتى استطاعوا توليد الاحياء كما يستطيعون تركيب بعض المركبات الكيماوية التي كان يقال انها من مركبات الاحياء خاصّة